BALAGH
Journal of Islamic and Humanities Studies
Vol 1 / No 2 – August 1443 / 2021
ISSN: 2791-6561
Received: 25.06.2021 | Accepted: 12.07.2021 | DOI: 10.5281/zenodo.5556841

دور الفقهاء والأدباء في مواجهة مهددات الأمن الفكري في العصر العباسي الأول (132هـ-232هـ)

Souheila Seggani*
Mohd Roslan Bin Mohd Nor**

الملخص:
يهدف هذا البحث إلى تبيين دور بعض الفقهاء والأدباء في مواجهة تحديات الأمن الفكري وحمايته في ظل قيام الخلافة العباسية وانتشار العديد من الحركات الفكرية المنحرفة والهدامة في عصرها الأول وكان من أبرزها حركة الزندقة، وتتمثل إشكالية هذا البحث في وجود طوائف وتيارات فكرية وعقدية مناهضة للإسلام عبر تاريخنا الإسلامي وإلى وقتنا الراهن، كانت ولا تزال تمثل تهديدًا لأمن المجتمع الإسلاميّ دينيًّا وفكريًا وسياسيًا. كما تبرز أهميته في إيضاح الدور المنوط بأهل العلم على اختلاف تخصصاتهم في مواجهة أي تهديد للعقيدة أو للقيم أو المبادئ الإسلامية التي بإمكانها أن تهز القناعات الفكرية والدينية للفرد والمجتمع المسلم في الوقت المعاصر، استخدمت الباحثة المنهج التاريخي الوصفي، ، وتوصلت الدراسة إلى أن كل من الفقهاء والأدباء قاموا بدورهم المنوط في مواجهة تلك التيارات الإلحادية واستنكارها كل بحسب تخصصه وتوجهه الفكري وقناعاته في الأسلوب الأمثل لمواجهتها.

الكلمات المفتاحية: الأمن الفكري، الفقهاء، الأدباء، الزندقة، العصر العباسي الأول.

The Role of Fuqaha' and 'Udaba' in Confronting Threats Facing Intellectual Security in The First Abbasid Era (132-232H)

Abstract
This research aims to clarify the role of some *'Fuqaha'* and *'Udaba'* in facing the challenges of intellectual security and protecting it in light of the establishment of the Abbasid state and the spread of many deviant and destructive intellectual movements in its first era, the most prominent of which was the heresy movement (the Order of *Zandaqa*). The problem statement of this research is that some anti-Islamic ideological sects throughout our Islamic history and to our present time, have been, and continue to pose, a threat to the security of the Islamic community, religiously, intellectually and politically. This research is important because it clarifies the role entrusted to scholars of all specializations in facing any threat to the beliefs, Islamic values or principles that can shake the intellectual and religious convictions of the individual and the Muslim community in the contemporary time. The researcher used the descriptive historical method. The study

* souheila_souheila@yahoo.com
** Prof. Dr., Academy of Islamic Studies University of Malaya m_roslan@um.edu.my

concluded that both scholars and writers did their role in confronting these first trends and denounced them according to their specialization, intellectual orientation and belief in the best way to face them.
Keywords: Islamic Intellectual Security, Fuqaha, Udaba, Zandaqa, The first Abbasid Era.

المقدمـة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد ﷺ وعلى آلـه وصحبه أجمعين إلى يوم الدين، وبعد:

برز مصطلح الأمن الفكري في السنوات الأخيرة، وحظي باهتمام كبير من قبل الباحثين والمفكرين، نظرا لأهميته القصوى في الحفاظ على المنظومة العقدية والفكرية والقيمية للفرد والمجتمع، ولمكانته الأساسية ضمن أنواع الأمن الأخرى، وفي محاولة لإسقاط مفهوم الأمن الفكري سواء بتحدياته أو سبل تعزيزه وحمايته على وقائع تاريخية، نقف على حقبة زمنية تعتبر من أهم مراحل التاريخ الإسلامي التي تجلّت فيها مواجهة العقيدة الإسلامية لكثير من التحديات الفكرية المنحرفة، كما تجلت فيها سياسة الأمن الفكري تجاه هذه الدعوات والدسائس والمؤامرات متمثلة في عصر الخلافة العباسية بجميع مراحلها، وذلك لما تميّز به هذا العصر من تمازج للثقافات وحريات الفكر، وتطور الحركة العلمية والثقافية في جميع المجالات، وما كان من نفوذ للفرس ودورهم في الترويج لآراء جديدة لم يكن للأمة الإسلامية عهد بها ولا سابق معرفة، فتشكلت عدة حركات فكرية منحرفة أسسها أفراد ذوو آراء مشتركة وأهداف متماثلة، تعمل من خلال التأليف والنشر والترويج للفكر الدخيل.

وبالرجوع إلى تاريخ الخلافة العباسية في عصرها الأول نقف على بروز حركة الشعوبية[1] التي امتدت جذورها إلى صدر الإسلام وبزغت فروعها في العصر الأموي، وكان لها علاقة مباشرة وصلة

[1] الشعوبية لغة، نسبة إلى شعوب ومفردها شعب بفتح الشين، وهو أكبر من القبيلة، وقيل الشعب هو الحي العظيم، مثل ربيعة ومضر، والأوس والخزرج، سموا بذلك لتشعبهم واجتماعهم كتشعب أغصان الشجر. وقيل الشعب القبيلة نفسها، وقد غلبت الشعوب بلفظ الجمع على جيل العجم حتى قيل لمحتقر أمر العرب شعوبي. فالشعوبية من الناحية التاريخية كما يعرفها المقريزي عبارة عن فرقة: "تتعصب على العرب وتحتقرها"، ولهذه الكلمة ثلاث معان، فالمعنى الأول يشمل العرب والعجم على حد سواء، والمعنى الثاني يقصرها على العرب وحدهم دون العجم، كما تطلق هذه الكلمة على غير العرب، أي على العجم وهذا المعنى الأخير هو أكثر المعاني شيوعًا وتداولاً. انظر: المقريزي، تقي الدين، النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم، تحقيق: حسين مؤنس، (القاهرة: دار المعارف، د.ط، د.ت)، ص111.

وثيقة بنشوء حركات أكثر خطرًا على أمن الدولة الإسلامية من الناحية العقديّة والفكريّة والسياسية أبرزها حركة الزندقة، والحركة البابكية والخرّمية والمقنعية.

فالشعوبية حركة شاملة، إذ وجدت أنصارها ودعاتها بين الوزراء والكتاب والأدباء والعامة، وهي حركة يتضح فيها العداء للعروبة حينًا وللإسلام حينًا آخر، وحركة الشعوبية تتميز بنبرة عنصرية وبالعودة إلى إحياء التراث القديم- قبل الإسلام- للشعوب الأخرى، وإن كان قد غلب عليها العنصر الفارسيّ أكثر.

وقد سلكت الشعوبية عدة سبل لنشر سمومها وأفكارها منها ما كان ظاهرًا ومنها ما كان خفيًّا، وكلها ذات هدف وخطر واحد وهو زعزعة كيان المجتمع الإسلامي وإدخال الشكوك وتشويه المفاهيم الإسلامية وطبعها بطابع العقل والمنطق، والتأويل الذي يغير معاني النصوص الشرعية من معناها الأصلي إلى معانٍ أخرى بعيدة كل البعد عن الإسلام، وتعتبر الزندقة مظهر أساس من مظاهر الشعوبية وهى أعلى مراحل التحدي الديني والفكري والاجتماعي للإسلام، والتى استهدفت هدم الإسلام من الداخل لأن الشعوبية قد أدركت العلاقة العضوية بين العروبة والإسلام، وأدركت أن هدم الإسلام هو السبيل لتحقيق أهداف أخرى . لأن ضياع ملكهم كان على يد العرب ولم يكن يتأتى للعرب ذلك لولا دينهم الجديد وهو الإسلام.[2]

وهذا البحث هو محاولة للتعرف على بعض مواقف كل من الفقهاء والأدباء في التصدي للزندقة وللفكر الإلحاديّ المبني على رواسب الملل والنحل القديمة، التي تهدد ثوابت قيم الأمة الإسلامية، وفي محاولة منهم لتعزيز الأمن الفكريّ الإسلامي في الدولة الإسلامية في ذلك العصر.

مفهوم الأمن الفكري والزندقة

تعريف الأمن الفكري

إنّ الأمن الفكريّ من المصطلحات الحديثة ذات المدلول القديم، وهو مصطلح مركب من لفظي الأمن والفكر، فالأمن في لغة العرب يفيد الاطمئنان، والاستقرار، ونقيضه الخوف، ومنه قوله تعالى: ﴿وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾، وقوله سبحانه: ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ (النور: 55). والأمانة

[2] انظر: مرتضى، محمد حسين ، موقف الإسلام من الحركات الهدامة، (البيضاء-ليبيا: جامعة عمر المختار)، ص5، بحث منشور بشبكة الأنترنيت موقع: www.greenbookstudies.com.

تفيد الاطمئنان، والثقة، ونقيضها الخيانة. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (الأنفال: 279). والإيمان يفيد التصديق، والاستيقان، ونقيضه الكفر، ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ (الكهف: 29)، ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: 109). قال الراغب: "أصلُ الأمْنِ طُمأنينَةُ النَّفسِ وزوالُ الخوفِ والأمنُ والأمانَةُ والأمانُ في الأصْلِ مصادرُ ويُجعَلُ الأمانُ تارةً اسمًا للحالةِ التي يكون عليها الإنسان في الأمْنِ، وتارةً اسمًا لما يُؤْمَنُ عليه الإنْسانُ"[3].

ومما قيل في مفهومه الاصطلاحي أنه "الحالة التي يسود فيها الشعور بالطمأنينة والهدوء والاستقرار والبعد عن القلق والاضطراب"[4]. أو هو "توفير الحماية والطمأنينة للضروريات الخمس التي جاء الإسلام بحفظها وصونها من أي خطر"[5]. والضرورات الخمس كما هو متعارف عليه تتمثل في: "حفظ الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل. وقد قالوا إنها مراعاة في كل ملة"[6].

وأما معنى الفكر فقد تنوعت العبارات في تحديد وبيان كيفيته، وهو عموما لا يخرج عن الدلالة اللّغوية، ففي لسان العرب: "الفَكْرُ والفِكْرُ: إعمال الخاطر في الشيء، "[7]، وجاء في الصحاح: "التَّفَكُّر: التَّأَمُّلُ. والاسمُ الفِكْرُ والفِكْرَةُ. والمصدرُ الفَكْرُ بالفتح"[8].فهو إذن عبارة عن عملية عقلية تتكون بالتأمل والنظر في معلومات أو نصوص حاضرة من شأنها أن تفرز نتيجة يطلب البحث عنها أو

[3] الأصفهاني، أبو القاسم الحسن بن محمد المعروف بالراغب، معجم مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: نديم مرعشلي، (بيروت: دار الفكر، د.ط، د.ت)، ص21.

[4] المجدوب، أحمد علي، الأمن الفكري والعقائدي مفاهيمه وخصائصه وكيفية تحقيقه، أبحاث الندوة العلمية الرابعة بعنوان: نحو استراتيجية عربية للتدريب في الميادين الأمنية ، (الرياض: دار النشر بالمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، ط1، 1408ه/ 1988م)، ص53.

[5] آل الشيخ، هيا بنت إسماعيل بن عبد العزيز، مكونات مفهوم الأمن الفكري وأصوله، (بحث مقدم للمؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري " المفاهيم والتحديات"، في الفترة من 22-25 جمادى الأول 1430ه، كرسي الأمير نايف بن عبد العزيز لدراسات الأمن الفكري بجامعة الملك سعود)، ص3.

[6] الشاطبي، أبو إسحاق، الموافقات في أصول الشريعة، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط3، 2003م)، مج2، ص8.

[7] ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، ط3، 1414ه)، ج5، ص65.

[8] الجوهريّ، أبو نصر إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، (بيروت: دار العلم للملايين، ط4، 1987م)، ج2، ص783.

علم مثمر. وهذه العملية خاصة بالإنسان لامتلاكه حاسة العقل وقدرته على التفكير وهي لا تتوفر عند الحيوان.

وبناء على ماسبق فإن الأمن الفكري هو"سلامة فكر الإنسان من الانحراف أو الخروج عن الوسطية والاعتدال في فهمه للأمور الدينية والسياسية والاجتماعية، مما قد يشكل خطراً على نظام الدولة وأمنها، وبما يهدف إلى حفظ النظام العام وتحقيق الأمن والطمأنينة والاستقرار في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها من مقومات الأمن الوطني"[9]. أو بعبارة أخرى هو"أن يعيش الناس في بلدانهم وأوطانهم وبين مجتمعاتهم آمنين مطمئنين على مكونات أصالتهم، وثقافتهم النوعية ومنظومتهم الفكرية"[10].

تعريف الزندقة

جاء في لسان العرب لفظ زنديق: الزنديق: القائل ببقاء الدهر. فارسي معرب وهو بالفارسية زند كراي يقول بدوام بقاء الدهر. والزندقة بمعنى الضيق. وقيل الزنديق منه لأنه ضيق على نفسه. التهذيب: الزّنديق معروف وزندقته أنه لا يؤمن بالآخرة ووحدانية الخالق. وقال أحمد بن يحيى: ليس زنديق ولا فرزين من كلام العرب، وإنما تقول العرب رجل زندق زندقي إذا كان شديد البخل. فإذا أرادت العرب معنى ما تقوله العامة قالوا :ملحد ودهري.[11]

[9] المالكي، عبد الحفيظ، الأمن الفكري من المصطلحات الحديثة أبرز انحرافاته ارتكاب الجريمة، (النسخة الإلكترونية من صحيفة الرياض اليومية الصادرة من مؤسسة اليمامة الصحفي، العدد 14291، 10 أغسطس 2007م). انظر أيضا: المالكي، عبد الحفيظ، نحو مجتمع آمن فكريًا، (بحث مقدم للمؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري "المفاهيم والتحديات"، في الفترة من 22-25 جمادى الأول 1430هـ، كرسي الأمير نايف بن عبد العزيز لدراسات الأمن الفكري بجامعة الملك سعود)، ص9.

[10] التركي، عبد الله بن عبد المحسن، الأمن الفكري وعناية المملكة العربية السعودية به، (أصل الكتاب محاضرة ألقيت في مدينة تدريب الأمن العام بمكة المكرمة بتاريخ 5-3-1422هـ)، ص56.

[11] ابن منظور، أحمد بن مكرم، لسان العرب، مرجع سابق، ج6، ص89-90.

وجاء لفظ الزنديق في تاج العروس: بأنه لفظ أعجمي، والزنديق بالكسر من الثنوية كما في الصحاح، أو هو القائل بالنور والظلمة أو من لا يؤمن بالآخرة والربوبية ووحدانية الخالق. أو من يبطن الكفر ويظهر الإيمان.[12] وبالمعنى نفسه الأخير ورد معنى الزنديق في دائرة معارف القرن العشرين.[13]

وورد في الموسوعة العربية الميسرة والموسعة أن لفظ زنديق: أطلقه الفرس قديمًا على الخارج على دين الدولة ببدع معينة، أهمها القول بأزلية العالم. استعمله المسلمون أولاً في الدلالة على القائلين بالأصلين النور والظلمة، على مذهب المانوية وغيرهم من الثنوية: ثم اتسع معناه فشمل الدهريين والملحدين وسائر أصحاب المعتقدات الضالة، بل أطلق على المتشككين، وكل متحرر من أحكام الدين فكرًا وعملاً.[14]

وارتأى للباحثة أن تذكر ما وقفت عليه على معاني الزندقة في معجم المصطلحات وما شمله هذا اللّفظ من اختلاف وتطور إذ قيل في الزندقة ما يأتي: "لفظ أعجمي معرّب أخذ من كلام الفرس بعد ظهور الإسلام وعرّب، وفي البداية كانت تطلق الزندقة على من يؤمن بكتاب المجوس المقدس الزندافست، ومن ثم نسب إليه، ثم توسعوا في استعمالها على كل إنسان يتشكك في الدين أو يجحد شيئًا مما ورد فيه أو يتهاون في أداء عباداته أو يتجرأ على المعاصي والمنكرات ويعلن بها، أو يقول بمقالة بعض الكفار ويؤمن ببعض عقائدهم، وقد عد الإمام الملطي فرق الزنادقة خمس فرق: المعطلة، والمانوية، والمزدكية، والعبدكية، والروحانية، ثم فشت الزندقة في النصارى حتى قال الجاحظ:" إنا لم نرَ أهل ملة قط أكثر زندقة من النصارى"، واستخدم اللفظ في الإسلام بمعانٍ متعددة، فبعضهم يطلقه على الثنوية المجوس، والبعض يطلقه على الدهرية أو من لا يؤمن بالله واليوم الآخر، والفقهاء يطلقونه على المنافق الذي يبطن الكفر ويظهر الإسلام، والبعض من علماء السلف يطلقه على الجهمية، والإمام أحمد يطلقه على علماء المعتزلة وقد يرمي صاحب المجون والفحش بالزندقة".[15]

---

[12] الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، (مصر: المطبعة الخيرية،ط1، 1306هـ)، مادة "ز ن ق ن" فصل الزاي من باب القاف، ج6، ص373.

[13] انظر: وجدي، محمد فريد، دائرة معارف القرن العشرين، (بيروت: دار الفكر، د.ت ، د.ط)، مج4، ص608.

[14] صلاواتي، ياسين، الموسوعة العربية الميسرة والموسعة، (بيروت: مؤسسة التاريخ العربي، ط1، 2001م)، ج4، ص1925.

[15] الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف ومراجعة: مانع بن حمّاد الجهمي، (الرياض: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر، ط3، 1418هـ)، مج2، ص1075 .

ذهب الغزالي في نهاية تعريفه للدهريين أنهم هم الزنادقة بقوله: طائفة من الأقدمين جحدوا الصانع المدبر، العالم القادر وزعموا أن العالم لم يزل موجودًا كذلك بنفسه بلا صانع، ولم يزل الحيوان من النطفة والنطفة من الحيوان، كذلك كان وكذلك يكون أبدًا وهؤلاء هم الزنادقة.[16]

وذهب أبو العلاء المعري إلى ما ذهب إليه الغزالي في تعريفه، كون أن الزنادقة هم الّذين يسمون الدّهرية ولا يقولون بنبوة ولا كتاب[17]، وأن الزنادقة ملحدون لا دين لهم فيقول: ولكني أغتاظ على الزنادقة والملحدين الّذين يتلاعبون بالدين ويرمون إدخال الشبه والشكوك على المسلمين، ويستعذبون القدح في نبوة النبيين صلوات الله عليهم أجمعين، ويتظرفون ويبتدئون إعجابًا بذلك المذهب تيه مغنٍ وظرف زنديق.[18]

دور الفقهاء، الأدباء والشعراء في مواجهة الزنادقة

دور الفقهاء في مواجهة الزنادقة

مما ميّز الخلفاء العباسيون عن غيرهم ممن سبقوهم اهتمامهم بالدين اهتمامًا كبيرًا- أعانهم على تقوية مركزهم السياسي – وعنايتهم بالفقه والفقهاء. فقد خصوا الفقهاء بكثير من ولائهم، وقربوهم إلى منازل لم تكن لغيرهم عند الخلفاء، وأغدقوا عليهم بالمنح والعطايا، وحث الناس على الرجوع إليهم في معرفة أحكام الدين. فأبو جعفر المنصور يطلب من الإمام مالك بن أنس أن يجعل له كتابًا يكون دستورًا للدولة تسير عليه.

فروي أن أبا جعفر قال لمالك ضع للناس كتابًا أحملهم عليه، ويروى أنه قال له: يا أبا عبد الله ضم هذا العلم، ودون كتبًا، وتجنب فيه شدائد عبد الله بن عمر، ورخص بن عباس، وشواذ ابن مسعود، واقصد أواسط الأمور، وما اجتمع عليه الصحابة.

ويروى أيضًا أنه حصلت بينهما مجاوبة في الغرض من الكتابة، إذ قال له أبو جعفر:" اجعل العلم يا أبا عبد الله علمًا واحدًا، فقال له مالك: إن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تفرقوا في

---

[16] الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال، (إستنبول -تركيا: مكتبة الحقيقة، د.ط، 1988م)، ص19.

[17] المعري، أبو العلاء، رسالة الغفران، تحقيق: بنت الشاطئ، (مصر: دار المعارف، د.ط، 1959)، ص421.

[18] المعري، أبو العلاء، رسالة الغفران، مرجع سابق، ص26.

البلاد، فأفتى كل في مصره بما رأى، وإن لأهل هذا البلد(أي مكة) قولاً، ولأهل المدينة قولاً، ولأهل العراق قولاً قد تعدوا فيه طورهم. فقال: أما أهل العراق فلست أقبل منهم صرفًا، ولا عدلاً، وإنما العلم علم أهل المدينة فضع للناس العلم. فقال له مالك: إن أهل العراق لا يرضون علمنا. فقال أبو جعفر: يضرب عليهم عامتهم بالسيف، وتقطع عليه ظهورهم بالسياط".[19]

وقد اتفق المؤرخون المحدثون على أن مالكًا بدأ تأليف الموطأ سنة 148هـ واستمر يعيد النظر فيه ويمحصه ويحققه حتى انتهى منه سنة 159هـ ولم يدركه أبو جعفر.[20]

وهارون الرشيد يخص أبا يوسف صاحب الإمام أبي حنيفة بالصحبة والملازمة، ويوليه منصب قاضي القضاة، ويطلب منه أن يضع له كتابًا يعمل به في جباية الخراج والعشور والصدقات. وقد استجاب لطلبه وألّف كتابه المشهور بالخراج وقال في مقدمة كتابه: "إن أمير المؤمنين أيّده الله تعالى سألني أن أضع له كتابًا جامعًا يعمل به في جباية الخراج، والعشور والصدقات والجوالي[21]وغير ذلك ما يجب عليه النظر فيه والعمل به، وإنما أراد بذلك رفع الظلم عن رعيته، والصلاح لأمرهم. وفق الله تعالى أمير المؤمنين وسدّده... وطلب أن أبين له ما سألني عنه مما يريد العمل به، وأفسره وأشرحه. وقد فسرت ذلك وشرحته".[22]

وقد كان لهذه العناية من الخلفاء بالفقه والفقهاء أوضح الأثر في التشريع، وذلك هو الشأن في كل ما يتجه إليه الحكام، فإنهم عادة أقدر الناس على الترغيب فيما أحبوا، والناس أسرع ما يكونون إلى تحقيق أغراضهم، وكان من نتائج هذا أن اتسع مجال الفقه، وأصبح المحور الذي تدور عليه أعمال الدولة، فألّفت الكتب الدينية التي تدعو إليها هذه الحياة الواسعة الحافلة بالشئون[23]، وتكونت

[19] أبو زهرة، محمد، مالك حياته وعصره آراؤه وفقهه، (القاهرة: دار الفكر العربي، ط2، د.ت)، ص225.

[20] أنظر: عبد الحسين علي أحمد، موقف الخلفاء العباسيين من أئمة أهل السنة الأربعة ومذاهبهم وأثره في الحياة السياسية في الدولة العباسية، (الدوحة قطر: دار قطري بن الفجاءة، د.ط، 1985)، ص181.

[21] جمع جالية، وأصلها الجماعة التي تفارق وطنها وتنزل وطنا آخر.

[22] أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم، كتاب الخراج، (القاهرة: المطبعة السلفية ومكتبتها، ط2، 1352هـ)، ص3.

[23] محمد عبد اللطيف محمد السبكي وآخرون، تاريخ التشريع الإسلامي،(القاهرة: مطبعة الشرق الإسلامية، ط2، 1939)، ص203.

المذاهب الفقهية الأربعة مذهب الإمام مالك ومذهب أبي حنيفة، ومذهب الشافعي وكذا مذهب الإمام أحمد بن حنبل.[24]

ومن ثمَّ ظهر في مجال الفقه مدرستان: مدرسة أهل الحديث بالمدينة يترأسها الإمام مالك، ومدرسة أهل الرأي بالعراق وعلى رأسها الإمام أبو حنيفة. وقد حظي الفقه كغيره من العلوم بنصيب وافر من المناظرات التي كان أساسها اختلاف فقهاء كل من مدرسة الحديث والرأي، ويعود أكبر الفضل في نشاط وتطور المناظرة والجدال فيما بينهما إلى مدرسة أبي حنيفة التي تدين بالرأي، والذي جعل فقهاء الحديث يردون عليهم بشدة كونهم أهملوا الحديث إلى الرأي فأخطأوا.

وقد حكت لنا كتب الفقه وطبقات الفقهاء مناظرات كثيرة بين أصحاب مالك وأصحاب أبي حنيفة، وبين الفقهاء المحدثين، وبين الشافعي ومحمد بن الحسن، حيث كانوا يتناظرون في المساجد وفي المنازل، وفي حلقات الدرس، ويرحلون ويضربون المواعيد فيتناظرون.

ولن تتحدث الباحثة عن هاتين المدرستين ولا عن نشأة تدوين الفقه وتطوره ومراحله، ولكنها ستحاول أن تقف على من كان لهم دورٌ مباشرٌ في مواجهة الزنادقة والملحدين، ونقصد بهم القائلين بالدهر وإلهين الظلمة والنور خاصة، أما باقي الفرق الإسلامية التي أتت بالبدع والخرافات، فكان لهم جهود في التصدي لآرائهم، وإعطاء أحكاما شرعية مستنبطة من الكتاب والسنة في تلك الحقبة الزمنية.

وفي حقيقة الأمر إن التاريخ لم يحفظ لنا الشيء الكثير في الرد على هؤلاء من قبل الفقهاء غير ما وجد بين أيدينا من كتاب "الرّد على الجهمية والزنادقة فيما شكّوا فيه من متشابه القرآن وتأوّلوه على غير تأويله" للإمام أحمد بن محمد بن حنبل رحمة الله عليهما، وبعض النصوص التي تحوي جهود الإمام جعفر الصادق في مناظرة الزنادقة، وكذا كتاب مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم الرسي[25]، على الرغم من أن كل الباحثين في موضوع الزندقة والشعوبية قد لمحّوا إلى دور الفقهاء في مواجهة تيار الشعوبية والزندقة إلاّ أنهم لم يوردوا في بحوثهم نصًا واضحًا يبيّن لنا كيف

[24] ومن أشهر الفقهاء الذين عاصروا الدولة العباسية الإمام زيد بن علي زين العابدين، الإمام جعفر الصادق، اللّيث بن سعد.

[25] هو: أبو محمد القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، ولد سنة169هـ وتوفي سنة 242هـ بالرّس حيث انتقل إليها في آخر أيامه، وهي: أرض اشتراها عليه السلام وراء جبل أسود بالقرب من ذي الحليفة وبنى هناك لنفسه ولولده.

واجه الفقهاء هؤلاء، ولا حتى الإشارة إلى كتاب الإمام أحمد بن حنبل، أو إلى دور الإمام جعفر الصادق والقاسم بن إبراهيم ومناظراتهما الكثيرة، وردّهما على الزنادقة الملحدين، ولعل غياب النصوص التي تبين ذلك الدور بوضوح، وعدم الوقوف على ما يشفي الغليل في هذا الباب، هو الذي أدّى بهؤلاء الباحثين إلى مجرد التلميح فقط، وهذا لا يعني بحال غياب دور الفقهاء في مواجهة هؤلاء الملحدين، فإن لم يكن لهم دورٌ مباشرٌ في مناظراتهم والرد عليهم، فقد كان لهم دورٌ بارزٌ في حفظ دين الأمة وعقيدتها من عبث العابثين بها، ومجابهة البدع العالقة بها، ولا يمكن لعاقل أن ينفي هذا الدور أو ينظر بعين النقص إلى هؤلاء الأئمة الأفذاذ. بل كان لكل واحد من هؤلاء آراءه الخاصة، خاصة وأنهم كانوا على مسمع من ذاك الالتحام بين آراء وعقائد متباينة ومضطربة، وعاشوا في ذلك العصر.

فمنهم من كان يرى عدم جواز الحديث في القدر مثلاً ولا حتى النقاش فيه، ومنهم من لم يستجيز لنفسه العكوف المطلق على الدراسات العقلية غير مستندة إلى أصل كتاب أو سنة، ولم يكن ليستبيح لنفسه الجدل في أي صورة من صوره كالإمام أحمد بن حنبل، وكذا الإمام مالك الذي بغضت إليه أقوال الفرق الإسلامية في العقائد، لأنها قامت في دراستها على النظر العقلي المجرد وسلكت سبيل الجدل والمراء الذي لم يسلكه السلف الصالح، وما كان يسمح لأحد أن يجري المناقشة حولها ولقد سأله رجلٌ فقال: "الرحمن على العرش استوى" كيف استوى؟ فسكت مالك مليًا، حتى علاه الرخصاء[26]، وما رأينا مالكًا وجد من شيء وجده من مقالته، وجعل الناس ينتظرون ما يأمر به، ثم سرى عنه فقال: "الاستواء منه معلوم، والكيف منه غير معقول، والسؤال عن هذا بدعة، والإيمان به واجب، وإني لأظنك ضالاً.. فناداه الرجل، يا أبا عبد الله، والله الذي لا إله الا هو، لقد سألت عن هذه المسألة أهل البصرة، والكوفة، والعراق، فلم أجد أحدًا وفق لما وفقت له.[27]

ولا بد أيضًا من التنبه هنا إلى نقطتين مهمتين: النقطة الأولى تتمثل في أن هؤلاء الفقهاء كانوا أول ما اشتغلوا به دراسة الحديث النبوي، وقد كان الحديث هو المادة الواسعة التي تشمل جميع المعارف الدينية تقريبا من تفسير وتشريع وتاريخ، وعلى أساسه ظهر الفقه كعلم مستقل له مناهجه ومدارسه، ومن هنا يبرز دور هؤلاء وجهودهم في دراسة الحديث متناً وسندًا ومعرفة صحيحه من

[26] الرخصاء بضم الراء وفتح الحاء العرق الشديد.

[27] أبو زهرة، محمد، مالك حياته وعصره آراؤه وفقهه، مرجع سابق، ص193.

سقيمه، والتصدي للزنادقة الوضاعين وغيرهم من الكذابين، هذا فضلاً عن اهتمام الفقهاء بالمسائل الخلافية سواءٌ أكانت دينية محضة أم كانت ذات علاقة بالسياسة، وانشغالهم بها في ذلك الوقت، وما ترتب على تلك الخلافات من زيادة شدة الجدال والمناظرات بين الفقهاء. أما النقطة الثانية فتكمن في أن معظم الذين رموا بالزندقة في ذلك العصر كانوا مانويين أو كانوا من الشكّاك الذين يقدسون العقل ولا يمكن مجابهة هؤلاء إلى بنفس لسانهم ومنطقهم، فما كان من هؤلاء الفقهاء الذين يرفضون العقل أن يناظروهم ويقنعوهم ويدحظوا شبههم، لهذا كان علماء الكلام هم من تصدوا لهم متسلحين بسلاحهم نفسه.

وقد وقفت الباحثة على بعض النصوص التي تبين دور الإمام جعفر الصادق الذي كان يعقد المجالس لمناظرة الزنادقة في مسائل تخص حدوث العالم، والمخلوق، والخالق متبعًا أسلوب الاستدلال العقلي .

ولقد التقى مرة بابن العوجاء وهو داعية من دعاة الزنادقة بالعراق، فلما رأى الإمام جعفر الصادق واسترعاه ما عليه من سمت، وأخذ الإمام جعفر الصادق يتكلم، لم يحرِ جوابًا، حتى تعجب الإمام جعفر والحاضرون، فقال له: ما يمنعك من الكلام؟

فقال الزنديق: بدا لك جلال ومهابة، وما ينطق لساني بين يديك فإني شاهدت العلماء، وناظرت المتكلمين، فما دخلتني هيبة قط مثل ما دخلني من هيبتك.[28]

فالديصاني، زعيم فرقة ملحدة، وصاحب الإهليجة طبيب هندي[29] وعبد الكريم بن أبي العوجاء عربي ملحد، وعبد الملك مصري يتزندق. وعمرو بن عبيد شيخ المعتزلة. وأبو حنيفة إمام الكوفة، ومالك إمام المدينة، وسفيان الثوري، وغيرهم كل هؤلاء تملأ مجادلاته معهم الكتب، ولا يضيق صدرًا بجدالهم، بل يضرب الأمثال بمسلكه معهم واتساع صدره لهم، على الحرية الفكرية التي يتيحها الإمام للناس في مجلسه، ليفهموا العلم، أو ليؤمنوا عن فهم، دون إكراه او إعنات.[30] وإليك جملة من مناظراته التي كان يلقم بها الزنادقة وما أكثرهم في عصره:

---

[28] الغريري، عامر عوّاد هادي ، الإمام جعفر الصادق وآراؤه الفقهية، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1)، ص21.

[29] انظرحجاج الصادق معه في: محمود، عبد القادر، الإمام جعفر الصادق رائد السنة والشيعة، (الجمهورية العربية المتحدة، د.ط، د.ت) ص48-49-50.

[30] الجندي، عبد الحليم ، الإمام جعفر الصادق،(القاهرة، د.ط، 1977م)، ص166.

رأى الإمام الصادق عبد الكريم مرة بالحرم فقال له: ماجاء بك؟ قال: عادة الجسد وسنة البلد، ولنبصر ما الناس فيه من الجنون والحلق ورمي الحجارة. قال الصادق: أنت بعد على عتوك وضلالك يا عبد الكريم؟ فذهب يتكلم. فقال الإمام: لا جدال في الحج. ونفض رداءه من يده وقال: إن يكن الأمر كما تقول، وليس كما تقول، نجونا وهلكت.

وروى هشام بن الحكم أنه كان بمصر زنديق يبلغه عن أبي عبد الله(الإمام الصادق) أشياء. فخرج إلى المدينة لينظره فلم يصادفه وقيل له إنه خارج بمكة، فخرج إلى مكة، ونحن مع أبي عبد الله، فصادفنا في الطواف، وكان اسمه عبد الملك وكنيته أبو عبد الله. فضرب كتفه كتف أبي عبد الله.. فقال له أبو عبد الله.. فمن هذا الملك الذي أنت عبده. من ملوك الأرض أو من ملوك السماء؟ وأخبرني عن ابنك عبد إله السماء أم عبد إله الأرض. قلت ما شئت تخصم.. إذا فرغت من الطواف فائتنا.

فلما فرغ أتاه الزنديق فقعد بين يديه.. قال أبو عبد الله: أيها الرجل: ليس لمن لا يعلم حجة على من يعلم، ولا حجة للجاهل.. يا أخا مصر إن الذين يذهبون إليه ويظنون أنه الدهر، إن كان الدهر يذهب بهم لِمَ لا يردهم؟ وإن كان يردهم لِمَ لَمْ يذهب بهم؟ يا أخا مصر لِمَ السماء مرفوعة والأرض موضوعة؟ لِمَ لَمْ تنحدر السماء على الأرض؟ لِمَ لَمْ تنحدر الأرض فوق طبقاتها ؟ و لِمَ يتماسكان ولا يتماسك من عليها؟

قال الزنديق: أمسكهما الله ربهما وسيدهما.. فآمن الزنديق. فقال: اجعلني من تلامذتك...فقال: يا هشام ابن الحكم خذ إليك. فعلمه هشام، فسار يعلم أهل الشام وأهل مصر الإيمان[31].

ويروي هشام أن زعيم الديصانية وفد على مجلس الإمام فقال له: دلني على معبودي ولا تسألني عن اسمي. فإذا غلام له صغير في كفه بيضة يلعب بها. فقال: يا ديصاني هذا حصن مكنون له جلد غليظ، وتحت الجلد الغليظ جلد رقيق، وتحت الجلد الرقيق ذهبة مائعة وفضة ذائبة، فلا الذهبة المائعة تختلط بالفضة الذائبة ولا الفضة الذائبة تختلط بالذهبة المائعة، فهي على حالها، لم يخرج بها مصلح فيخبر عن صلاحها، ولا دخل فيها مفسد فيخبر عن فسادها، ولا يدري أللذكر خلقت أم للأنثى، تنفلق عن مثل ألوان الطواويس، أو لا ترى لها مدبرًا؟

[31] الجندي، عبد الحليم ، الإمام جعفر الصادق، مرجع سابق، ص169-170.

فأطرق الديصاني ثم قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمّدًا عبده ورسوله. وأنك إمام وحجة من الله على خلقه. وأنا تائب مما كنت فيه.[32]

ويجيئه زنديق يسأله عن تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ** ﴾ وقوله تعالى في آخر السورة: ﴿ **وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ**﴾ (النساءآية129) فقال الإمام: أما قوله ﴿ **فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً** ﴾ فإنما عني النفقة. ﴿**وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ** ﴾ فإنما عني المودة. فإنه لا يقدر أحد أن يعدل بين امرأتين في المودة[33].

وكان جعفر الصادق يناظر خصمه بالبرهان العلميّ المنطقيّ ومن جملة ما ذكر في مناظراته في باب حدوث العالم أنّ زنديقًا سأله: من أي شيء خلق الأشياء؟ فقال الصادق: من لا شيء.

الزنديق: كيف يجيء شيء من لا شيء.

الصادق: إن الأشياء لا تخلو إما أن تكون خلقت من شيء أو من غير شيء، فإن كانت من شيء كان معه فإن ذلك الشيء قديم، والقديم لا يكون حديثًا ولا يتغير, ولا يخلو ذلك الشيء من أن يكون جوهرًا واحدًا ولونا واحدًا، فمن أين جاءت هذه الألوان والجواهر الكثيرة المختلفة، ومن أين جاء الموت إن كان الشيء الذي أنشئت منه الأشياء حيًّا أو من أين جاءت الحياة إن كان ذلك الشيء ميتًا، ولا يجوز أن يكون من حي وميت قديمين لم يزالا، لأن الحي لا يجيء منه ميت وهو لم يزل حيًّا ولا يجوز أيضًا أن يكون الميت قديمًا لم يزل، لما هو به من الموت لأن الميت لا قدرة به ولا بقاء.[34]

ويسأله الديصاني: ما الدليل على الصانع؟ فيقول: وجدت نفسي إما أكون صنعتها فلا أخلو من أحد معنيين، إما أن أكون صنعتها أو صنعها غيري، فإن كنت صنعتها فلا أخلو من أحد معنيين، إما أن أكون صنعتها وكانت موجودة فقد استغنت بوجودها عن صنعتها، وإن كانت معدومة فالمعدوم لا

[32] الجندي، عبد الحليم ، الإمام جعفر الصادق، مرجع سابق، ص170.

[33] أبو زهرة، محمد، الإمام الصادق حياته وعصره آراؤه وفقهه،(القاهرة: دار الفكر العربي، د.ط، د.ت)، ص63.

[34]محمود، عبد القادر، الإمام جعفر الصادق رائد السنة والشيعة، مرجع سابق، ص47.

يحدث شيئًا. فقد ثبت المعنى الثالث هو أن لي صانعًا وهو رب العالمين كيف نعرفه؟ لا يعرف عز وجل إلا به.[35]

ولم تكن جهود الصادق ضد هؤلاء فقط بل كانت ضد أولئك الذين غلو في التشيع وانتحلوه لآل البيت، ووصلوا في عهده إلى درجة الكفر وأكبر أنواع الشرك، أمثال بيان بن سمعان والمغيرة بن سعيد وأبو الخطاب وغيرهم ممن كانوا في اعتقادهم في الله حشوية يأخذون بظواهر الألفاظ من غير تفهم لها، وكانوا وثنيين بالنسبة للأئمة إذا اعتقدوا أنهم آلهة تحل فيهم روح الله، ومع مرضهم بدرن الوثنية، والمجوسية، واليهودية، قاصدين بذلك هدم الإسلام.

وإن هذا ألقى عبئًا شديدًا على آل البيت، لأنهم كانوا مطالبين بأن ينفوا هذا الدرن عن أتباعهم، ويعلنوا أمام الناس البراءة من هؤلاء الكاذبين المنحرفين، ويرسلوا للناس من المخلصين من يزيل ذلك الخبث من العقول، ويطهرها من الأوساخ. وقد حمل ذلك العبء الإمامان: الباقر وجعفر الصادق[36].

وليست الباحثة في هذا المقام تتحدث عن فرق الشيعة وغلوها، ولا هي بمتتبعة لأثرهم في الفرق والآراء التي بثوها بين الناس، ولكن الذي يهمنا هو موقف الإمام الصادق تجاههم، والمتمثل في البراءة منهم واستنكار مذهبهم.

وكذا كان حظ باقي الفقهاء في مواجهة البدع لكثرتها في ذلك العصر وتشابكها فيما بينها، حتى ليصعب على الباحث الوقوف على تاريخها وعلاقتها بشكل واضح ولعل جهود الأئمة: مالك، وأبي حنيفة، والإمام أحمد، والشافعي تحتاج منا إلى دراسات مستقلة ومستوفية حول جهودهم في محاربة البدع والفرق الضالة في ذلك العهد، لما له صلة وثيقة بحماية عقول أفراد المجتمع الإسلامي وصيانتها.

وإذا رجعنا إلى رسائل الإمام القاسم بن إبراهيم الرسي التي نشرت في كتاب بعنوان "مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم الرسي" تبين لنا أن جميع كتبه ورسائله تجيب على كثير من

[35] محمود، عبد القادر، الإمام جعفر الصادق رائد السنة والشيعة، مرجع سابق، ص45.
[36] أبو زهرة، محمد، الإمام الصادق حياته وعصره وآراؤه وفقهه، مرجع سابق، ص97.

التساؤلات المثارة في الساحة الإسلامية آنذاك. وتأتي أهمية كتبه ورسائله في أنها نقية الفكرة، تتناول مواضيع ساخنة، أصيلة الحجة.

وفي هذا الكتاب يجمع المحقق "عبد الكريم أحمد جدبان" مجموع كتب ورسائل الإمام "القاسم ابن إبراهيم بن الحسن" والتي بلغ عددها ثلاثين كتابًا ورسالة، جاءت في مختلف المعارف الإسلامية مرتباً إياها ترتيباً مبتكراً، فبدأ بالكتب التي ناقش فيها الإمام الطوائف غير الدينية، كالفلاسفة، والملاحدة، والزنادقة، ثم الديانات السماوية (النصارى)، ثم الفرق الإسلامية.

ويعد الإمام القاسم مدرسة متميزة في طرق الإقناع، والسيطرة على العقول والقلوب، له أسلوب فريد في الحوار والمناظرة، لا يملك معه الخصم إلا التسليم عن قناعة وطيب خاطر، لا يظهر عليه أي علامات الانتصار والفلاح، مما قد يضطر خصمه للعناد والمكابرة.

وقد حذر القاسم المسلمين من دعوة المانوية وابن المقفع، فنقد تقسيم الثنوية في عقائدهم الأشياء إلى قسمين، نور وظلمة، خير وشر، أرض وسماء، ملائكة وشياطين. ووقف عند دلالة التسبيح والتقديس عند الثنوية والفرق بينها وبين المقصود منها في الدين الإسلامي، كما بين سر التوحيد والوحدانية والتفرد والصمدانية وتنزيه الخالق من الشريك والند والولد.

له (كتاب الدليل) الذي ينصر فيه التوحيد، ويحكي مذاهب الفلاسفة، ويتكلم عليهم، ويتكلم في التراكيب والهيئة، و(كتاب الرد على ابن المقفع) ونقضه كلامه في الانتصار لما فيه من التثنية، و(كتاب تأويل العرش والكرسي) على المشبهة، و(كتاب الناسخ والمنسوخ)، و (كتاب الرد على النصارى)، وكتاب حكى فيه (مناظرته للملحد بأرض مصر) والتي انتهت بإسلام هذا الملحد.

وقد قيل في مدخل هذه المناظرة:كان فى مصر رجل من الملحدين فكان يحضر مجالس فقهائها، ومتكلميها، فيسألهم عن مسائل الملحدين، وكان بعضهم يجيب عنها جوابًا ركيكًا، وبعضهم يزجره ويشتمه، فبلغ خبره القاسم بن إبراهيم عليه السلام، وكان بمصر متخفيًّا، في بعض البيوت فبعث صاحبَ منزله ليُحضره عنده، فأحضره، فلما دخل عليه قال له القاسم رضي الله عنه: إنه بلغني أنك تعرضت لنا، وسألت: أهل نحلتنا، عن مسائلك، ترجو أن تصيد أغمارهما بحبائلك، حين رأيت ضعف علمائهم عن القيام بحجج الله، والذب عن دينه، ونطقت على لسان شيطان رجيم لعنه الله:﴿ **وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا**﴾ (النساء- 118).

وبالله أستعين، وعليه أتوكل، فقال الملحد: أما إذا عبْتَ أولئك، وعيرَّتهم بالجهل فإني سائلك، وممتحنك، فإن أجبت عنهم فأنت زعيمهم، وإلا فأنت إذا مثلهم.

فقال القاسم عليه السلام: سل عمّا بدا لك، وأحسن الاستماع، وعليك بالنَّصَفَة، وإياك والظلم، ومكابرة العيان، ودفع الضرورات، والمعقولات، أجبك عنه، وهو حسبي ونعم الوكيل[37].

وأما عن كتاب الإمام ابن حنبل فمن خلال عنوانه يتبين تفريق الإمام بين الزنادقة وبين الجهمية، ويظهر أيضًا جليًّا أن الزنادقة الذين حاربهم في كتابه لم يكونوا من المانوية وإنما ينتسبون إلى الزنادقة الشكّاك الذين طعنوا في القرآن الكريم وأنكروا بعض آياته، وتورد الباحثة ما جاء في هذا الكتاب من نماذج بعض الآيات التي شكك فيها الزنادقة وادعوا تناقضها فيما بينها وقد رد عليهم الإمام ابن حنبل مفسّرًا وموضّحًا لمعانيها حتى يتبين للقارئ صورة من صور ما ادعاه هؤلاء المتزندقون باسم الدين:

-قالت الزنادقة في قوله تعالى: ﴿**كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا** ﴾ فما بال جلودهم التي عصت قد احترقت وأبدلهم جلودًا غيرها فلا نرى إلاّ أن الله يعذب جلودًا لم تذنب حين يقول بدّلناهم جلودًا غيرها.

-قوله تعالى: ﴿ **هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ** ﴾ ثم قال في آية أخرى﴿ **ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ** ﴾ فزعموا أن هذا الكلام ينقض بعضه بعضًا فشكوا في القرآن.

-قوله تعالى: ﴿**وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا** ﴾ وقوله في آية أخرى ﴿**وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ**﴾. فقالوا كيف يكون هذا من كلام المحكم.

-قوله تعالى: ﴿ **مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَقَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ**﴾ وقال تعالى: ﴿ **فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ** ﴾ فقال الزنادقة إن الله قد ذم قوما كانوا يصلون فقال ﴿**فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ**﴾ وقد قال في قوم أنهم انما دخلوا النار لأنهم لم يكونوا يصلون فشكوا فيه وزعموا أنه متناقض .[38]

[38] انظر: ابن حنبل، أحمد بن محمد، الرّد على الجهميّة والزنادقة فيما شكوا فيه من متشابه القرآن وتأوّلوه على غير تأويله، (المملكة العربية السعودية: نشر وتوزيع إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، د.ط، د.ت).

دور الأدباء والشعراء في مواجهة الزنادقة

إذا أردنا الحديث عن دور الأدباء في ذلك العصر وجدنا على رأس هؤلاء جميعًا شخصية الجاحظ البارزة في ميدان المناظرة والتأليف، وكتبه التي جمعت كُلاً من فنون الأدب وعلم الكلام، فلا يرى الجاحظ، صاحب العقيدة الراسخة والإيمان الصحيح، طريق النجاة للناس، إلا إذا فهموا الإسلام على حقيقته كما فهمه هو، وكان أبدًا حربًا على من خالفوا الدين، وحربًا على الملحدين والكافرين. أنحى على الشيع التي انفصلت من الإسلام، وعبثت بشيء من فروعه، فردّ على المشبهة وعلى الجهمية وعلى العثمانية وعلى الرافضة وغيرهم[39] وجادل اليهود والنصارى من أهل الكتاب بالتي هي أحسن، وأهم ما اهتم به الرد على الزنادقة، والمانويين، والمرتدين، والطعن على من حاولوا من أرباب النحل القديمة أن يعيدوا في ملتهم من امتلوا ملة الإسلام، مثل رده على من ألحد في كتاب الله، ورده على الذي عنن له "بصيرة غنام المرتد" وغير ذلك.[40]

وردًّا على الشعوبية ودعاتها، وضع الجاحظ كتابيه "البيان والتبيين" و "البخلاء" وغير رسائل، ليعظم شأن العرب في حضارتهم وآدابهم وتاريخهم حاملاً على الشعوبيين المتسترين بالإسلام لنشر الزندقة الصادرة عن مذهبي زرادشت وماني وبث الدعاوة للحضارة الفارسية ومجد بن ساسان[41].

وقدكانت الشعوبية تعظم البخل وتدافع عنه وتكسبه ثوب الحرص، ولما كان هؤلاء الشعوبيون من الأعاجم فقد تمثل البخل فيهم بأبشع صوره، فأخذ أبو عثمان الجاحظ في تحليل البخل، وفضح مساوئه، ردًّا على الشعوبية التي أخذت تقلل من قيمة العرب وشأنهم، وتقول لهم أن الكرم الذي تدعونه وتعدونه حسنة من حسناتكم، ليس من الخلال الحميدة في شئ.

فهذا أبو العباس الأعمى وهو شعوبي يفاخر العرب ويكاثرهم، ويذكر معايبهم، ويكشف مثالبهم:

إنما سمي الفوارس بالفرس مضاهاة رفعة الأنساب

[39] له كتاب الرد على العثمانية وذكر ما بين الزيدية، والرافضة، وكتاب حكاية أصحاب الزيدية، الرد على المشبهة، وكتاب الرد على الجهمية.

[40] كرد علي، الجاحظ، (سوسة –الجمهورية التونسية:دار المعارف، د.ط، د.ت)، ص48.

[41] جميل جبر، الجاحظ في حياته وأدبه وفكره، (بيروت: دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، د.ط، دت)، ص131.

كما يقول في قصيدة أخرى[42]:

من مثل كسرى وسابور الجنود معًا والهرمزان لفخر أو لتعظيم

ويقول في شأنهم في كتابه البيان والتبيين - كتاب العصا - بعد عرضه لجملة من أقوالهم ومطاعنهم على خطباء العرب، وفي مقامات الصلح وسلّ السخيمة، وما عابوه من الإشارة والعصي، وكذا لزومهم العمائم في أيام الجموح ...وغيرها من الصفات التي عابوها على العرب ومارد به الجاحظ عليهم : "ثم اعلم أنك لم تر قومًا قط أشقى من هؤلاء الشعوبية ولا أعدى على دينه، ولا أشد استهلاكًا لعرضه، ولا أطول نصبًا، ولا أقل غنمًا من أهل هذه النّحلة. وقد شفى الصدور منهم طول جثوم الحسد على أكبادهم، وتوقد نار الشنآن في قلوبهم، وغليان تلك المراجل الفائزة، وتسعر تلك النيران المضطرمة. ولو عرفوا أخلاق أهل كل ملة، وزيّ أهل كل لغة وعللهم، على اختلاف شاراتهم وآلاتهم، وشمائلهم وهيئاتهم، وما علة كلّ شيء من ذلك، ولم اجتلبوه ولم تكلفوه لأراحوا أنفسهم، ولخفت مؤونتهم على من خالطهم[43].

لقد عزا إليهم كلّ أسباب الفتور الديني والتشكك في العقيدة، وما ترك قبيحة إلاّ وألصقها بهم، شأنه في كل حملاته على من غضب عليهم بنو العباس. فكان خير محام وخير داعية.[44]

ولم يكتفِ الجاحظ بالرد على الشعوبية فقط بل جاهد بقلمه وفكره ضد عديد من الطوائف المعادية للعرب والإسلام كالزنادقة، والدهريين، والمنانية، والمجوسية. ورأينا أنه لما فشت الزندقة في العصر العباسي الأوّل واهتم لذلك الخلفاء، قال الجاحظ بالضرب على أيديهم قائلاً: "أجمعوا على أن قتل البعض إحياء للجميع، وأن إصلاح الناس في إقامة جزاء الحسنة والسيئة، ولكم في القصاص حياة، والقود حياة، وهذا شيء تعمل به الأمم كلها غير الزنادقة، والزنادقة لم تكن قط أمة، ولا كان لها ملك ومملكة، ولم تزل بين مقتول وهارب ومنافق".

[42] انظر: محمد بركات حمدي أبو علي، سخرية الجاحظ من بخلائه، (الأردن: مكتبة الأقصى، ط2، 1982م)، ص52-53.

[43] الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط5، 1985م)، ج3،ص29-30.

[44] جميل جبر، الجاحظ في حياته وأدبه وفكره، مرجع سابق، ص131.

وتورد الباحثة نماذج[45] من آراء الجاحظ وأساليبه في كتاباته التي ردَّ بها على من خالفوا الإسلام، ولاسيما المانوية، والزنادقة، والملحدون ممن كانوا يعملون على هدم الإسلام وتشكيك معتنقيه فيه فيما يلي:

قال في الزنادقة ومن يحب مشاكلتهم: "وربما سمع أحدهم ممن لا معرفة عنده ولا تحصيل له أن الزنادقة ظرفاء، وأنهم عقلاء وأدباء، وأنهم عباد، وأصحاب اجتهاد، وان لهم البصائر في دينهم، والبذل لمهجهم، وأن هناك علمًا وتمييزًا، وإنصافًا وتحصيلاً، فينزو نحوهم نزو[46] المهر الأرن[47]، ويحن إليهم حنين الواله العجول، ويتصبى فيهم صبابة العاشق المتيم، ويرى أنه متى اتهم بهم فقد قضى له بذلك كله، فلا يزال كذلك حتى يسهل في طباعه، ويرجح عنده أن يزعم أنه زنديق".

وأما بشأن الدهريين فقد قال في نعتهم: "فإن الذي ينفي الرب، ويحيل الأمر والنهي، وينكر جواز الرسالة، ويجعل الطينة قديمة، ويجحد الثواب والعقاب، ولا يعرف الحلال والحرام، ولا يقرّ بأن في جميع العالم برهانًا يدل على صانع ومصنوع، وخالق ومخلوق، ويجعل الفلك الذي لا يعرف نفسه من غيره، ولا يفصل بين الحديث والقديم، وبين المحسن والمسيئ، ولا يستطيع الزيادة في حركته، ولا النقصان من دورانه، ولا معاقبة للسكون بالحركة، ولا الوقوف طرفة عين، ولا الانحراف عن الجهة، هو الذي يكون به جميع الإبرام والنقض، ودقيق الأمور وجليها، وهذه الحكم العجيبة، والتدابير المتقنة، والتآليف البديعة، والتركيب الحكيم، على حساب معلوم، ونسق معروف على غاية من حقائق الحكمة، وإحكام الصنعة. لأن الدهري ليس يرى أن في الأرض دينًا أو نحلة أو شريعة أو ملة، ولا يرى للحلال حرمة ولا يعرفه، ولا للحرام نهاية ولا يعرفه، ولا يتوقع العقاب على الإساءة، ولا يتوخى الثواب على الإحسان، وإنما الصواب عنده والحق في حكمه، أنه والبهيمة سيان، وأنه والسبع سيان، ليس القبيح عنده إلا ما خالف هواه، وإن مدار الأمر على الإخفاق والدّرك، وعلى اللّذة والألم، وإنما الصواب فيما نال من المنفعة، وإن قتل ألف إنسان صالح لمنالة الدرهم الردئ...."

وقال في المنانية أصحاب ماني: "إن أناسًا حين جهلوا الأسباب والمعاني، وقصروا في الخلقة عن تأمل الصواب والحكمة فيها خرجوا إلى الجحود والتكذيب حتى أنكروا خلق الأشياء. وزعموا

[45] انظر: كرد علي، الجاحظ، مرجع سابق، ص 58-68.

[46] نزو، ينزو بمعنى: يثب.

[47] المهر الأرن بمعنى الهائج.

أن كونها بإهمال لا صنعة فيه ولا تقدير، فكانوا بمنزلة عميان دخلوا دارًا قد بنيت أتقن بناء، وفرشت أحسن فرش، وأعد فيها من ضروب الأطعمة والأشربة والمآدب، ووضع كل شيء من ذلك في موضعه على صواب وتقدير، فجعلوا يسعون فيها محجوبة أبصارهم فلا يبصرون هيئة الدار وما أعدّ فيها، وربما عثر الواحد منهم بالشيء قد وضع في موضعه وأعد لشأنه، وهو جاهل بالمعنى فيه، فتذمر وتسخط وذم الدار وبانيها.

فهذه حال هذا الصنف في إنكارهم ما أنكروا من الخلقة، وأنه لما غبيت أذهانهم عن معرفة الأسباب والعلل في الأشياء، صاروا يجولون في هذا العالم كالحيارى لا يفقهون ماهو عليه في إتقان خلقته، وصواب هيئته، وربما وقف الواقف منهم على الشيء يجهل سببه والأرب فيه، فيسرع إلى ذمه وعيبه، ووصفه بالخطأ والإحالة، كالذي أقدمت عليه وجاهرت به المنانية الكفرة، وأشباههم من أهل الظلال، فحق على من أنعم الله عليه بمعرفته، ووفقه لتأمل هذه الخليقة، والوقوف على ما في خلقها من لطف التدبير، وصواب التقدير، بالدلائل القائمة فيها، أن لا يقصر في إظهار ما بلغه علمه من ذلك، بل يجهد في نشره وإذاعته وإيراده على المسامع والأذهان، لتقوى دواعي الإيمان، وتخيب مكيدة الشيطان".

وقال في المجوسية:"ولم ترى قط ذا دين تحول إلى المجوسية عن دينه، ولم يكن ذلك المذهب إلاّ في ضعفه من أهل فارس والجبال، وخراسان كلها فارسية فإن عجبت من استسقاطى لعقل كسرى أبرويز وآبائه وأحبابه وقرابته وكتابه وأطبائه وحكمائه وأساورته، فإني أقول في ذلك قولا لا يعرف به أنني ليس إلى العصبية ذهبت".

أما النصارى فقد خصهم الجاحظ بكتاب" الرد على النصارى" وقد ورد فصل من صدر كتابه هذا في الرسائل[48] ، وتكتسب هذه الرسالة أهمية عظمى، وتتبع أهميتها من كونها أقدم النصوص التي وصلتنا، مصورة حركة الجدل الديني – في البيئة الإسلامية – ضد اليهود والنصارى،كما أن هذه الرسالة تكشف عن جانب مهم من عبقرية الجاحظ، فهو ليس أديبًا ناقدًا متكلمًا فحسب، لكنه عالم بالأديان، مطلع على كتبها، ملم بدقائق عقائدها، وتفاصيل مبادئها[49].

[48] انظر: رسائل الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (بيروت: دار الجيل، ط1، 1991م)، ج3، ص303.

[49] الجاحظ، عمرو بن بحر، المختار في الرد على النصارى، تحقيق: محمد عبد الله الشرقاوي،(القاهرة: دار الصحوة، ط1، 1984م)، ص19.

وقد أشار الجاحظ نفسه إلى رسالته هذه في كتاب الحيوان بقوله"... وكتابي على النصارى واليهود"، وأشار إليها ابن قتيبة في كتابه: " تأويل مختلف الحديث"، والقاضي عبد الجبار في كتابه" المغنى".

وتكتفي الباحثة بهذا القدر من تبيين دور الجاحظ بوصفه أديبًا عاش فترة الغليان الفكري والجدل الديني، وفشو خطر الحركات الهدّامة على أمن الأمة الإسلامية سياسيًّا ودينيًّا في العصر العباسي الأول.

وإذا تطرقنا للحديث عن حظ الشعراء من هذه الحملة التي شنها الخلفاء والعلماء على الزنادقة والملحدين، لا يسعنا إلاّ أن نقف على نصوص قليلة تضمنت أحداث كل من خلافة المهدي والهادي، لكن الشعر الذي قيل في هذه المعاني قليل لا يتناسب مع سعة الحملة التي قام بها الخليفتان، ومع نشاط هذه الحركة[50].

ومما وصلنا من الشعر في تحريض الخليفة على الزنادقة، ما قاله الشاعر العلاء بن الحداد الأعمى في الزنديق ازديادار كاتب يقطين بن موسى الذى نظر إلى الناس في الطواف يهرولون، فقال:ما أشبههم ببقر تدوس البيدر. فقال فيه:

أيا أمين الله في خلقه ووارث الكعبة والنبر
ماذا ترى في رجل كافر يشبه الكعبة بالبيدر
ويجعل الناس إذا ما سعوا حمرا تدوس البر والدوسر

وقال شاعرآخر :

قد مات ماني منذ إعصار وقد بدا إزديادار
حج إلى البيت أبو خالد مخافة القتل أو العار
وودّ والله أبو خالد لو كانت بيت الله في النار
لا يقتل الحيات في دينه كفرا ولا العصفور في الدار

[50] بهجت، مجاهد مصطفى ، التّيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأول، (بغداد: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، ط1، 1982م)، ص368.

وليس يؤذي الفأر في حجره يقول روح الله في الفأر

وقد قتله الهادي وصلبه[51].

أضف إلى هذا بعض النصوص الشعرية التي كانت ذات طابع هجائي، فقد كان بعض الشعراء المتزندقين يهجون بعضهم البعض،كهجاء بشار بن برد لعبد الكريم بن أبي العوجاء، أو هجاء حماد عجرد لعمارة ابن حربية، ولا يهم الباحثة أن تذكر شعر هؤلاء لاتهامهم جميعًا في دينهم. ولكن ما يهمنا هو شعر الحماسة الإسلامية الذي قيل في حركة بابك الخرمي، والذي كان لهذه الحركة الأثر الكبير في الشعر العباسي في عهده الأول.

وهذا كله لعظم خطر الخرّمية، وشدة وطأتها زمنًا طويلاً امتد أكثر من عشرين سنة، وإخفاق المحاولات الكثيرة في القضاء عليها. فصار النجاح المكتسب والجولة الناجحة باعثة السرور والبشر الغامرين لدى الشعراء، فأذاعوه وتحدثوا بنعمة الله عليهم فيها..ومع ذلك فإن عددًا من قصائد النصر على الخرّمية لم تصل إلينا، فحين انتصر الأفشين بعد بلاء وعناء كبيرين أدخل المعتصم عليه الشعراء، ليمدحوه، ولكن لم تصل إلينا غير قصيدة أبي تمام[52].

وقد خص الدكتور شوقي رياض أحمد شعر أبي تمام بالحديث في كتاب عنونه بـ"حماسيّات أبي تمام في الحروب البابكية"، حيث قد عرض في الفصل الأول منه التعريف بالحركة البابكية من حيث مبادئها وعوامل قيامها، وأعقبه بعدة فصول تتناول الشعر الحماسي لأبي تمام ومناسبات قوله.

وقد أطنب حقيقة أبو تمام في شعره بسرد وقائع جلّ المعارك التي وقعت بين القوات الإسلامية وبين الخرّمية، فكان بمثابة مرصدها الذي سجل هزاتها وزلزلاتها. فنجد شعره بين مدح للخليفة وقواده -خاصة الأفشين وقائده أبو دلف الذي اجتمع ذكره إلى ذكر الخليفة وقائده الأول، ومدحه لأبو سعيد بن يوسف الثغري الذي نال من شعره شيئًا كثيرًا-، وبين وصفه البليغ وتصويره الدقيق لماوقع من لقاءات حربية بهضبتي " أبرشتويم" و"دروذ"و"عشية التل"و" أرشق"و "سندبايا" ،" وغيرها، وكان وصفه لهذه المعارك والمواقع يتبعه تصوير واحتفال بالنصر الحاسم الذي حققه المسلمون بعد سنوات طويلة .

[51] المقدسي، مطهر بن طاهر، البدء والتاريخ ،(بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1997م)، ج2، ص290.
[52] بهجت، مجاهد مصطفى، التّيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأول، مرجع سابق، ص370.

كما نجده رثى القائد محمد بن حميد الطوسي[53] وحزن على موته حزنًا مروعا، فقد كانت وفاته فاجعة زلزلت أركان الدولة، وهزت النفوس هزًّا عنيفًا، ويدل على شدة وطأة الحزن على نفس أبي تمام قول البديعي: "إن أبا تمام لمّا بلغه خبر قتله، غمس طرف ردائه في مداد، ثم ضرب به كتفيه وصدره، وأنشد القصيدة التي تمنى أبو دلف لو كان هو المقتول وقيلت فيه"[54] ومما قاله فيه:

توفيت الآمال بعد محمد وأصبح في شغل عن السفر السفر

وقال:

فتى مات بين الطّعن والضرب ميتة تقوم مقام النصر إن فاته النصر

ومامات حتى مات مضرب سيفه من الضّرب واعتلّت عليه القنا السّمر

وقد كان فوت الموت سهلا فردّه إليه الحفاظ المرّ والخلق الوعر

ونفس تعاف العار حتّى كأنّه هو الكفر يوم الرّوع أودونه الكفر

فأثبت في مستنقع الموت رجله وقال لها من تحت اخمصك الحشر

غدا غدوة والحمد نسج ردائه فلم ينصرف إلا وأكفانه الأجر

تردّى ثياب الموت حمرا فما أتى لها الليل إلاّ وهي من سندس خضر[55]

ولولا خشية الإطناب والإطالة لعرضت الباحثة جل قصائده في هذا الباب[56]، ولكنها آثرت أن تورد بعض المختارات الشعرية من قصائده المختلفة على سبيل المثال فقط:

---

[53] انتدبه المأمون لحرب بابك، وكان من أعظم قواده شجاعةً وحكمةً وحنكةً وتمرسًا بالحروب، عقد له اللّواء في سنة 212هـ وقتله أصحاب بابك في معركة بينهما سنة 214هـ.

[54] شوقي، رياض أحمد، حماسيات أبي تمام في الحروب البابكية، (القاهرة، دار الثقافة، د.ط، 1978م)، ص27.

[55] الحاوي، إيليا، شرح ديوان أبي تمام، (بيروت: دار الكتاب اللّبناني، ط1، 1981م)، قافية الراء رثاء محمد بن حميد الطائي، ص670-671.

[56] قد وصف أبي تمام جل معارك المسلمين ضد الخرّمية وتحدث عن وقعة "البذ" وتابع الأحداث التي تلت سقوط "البذ" وما كان من هروب بابك والقبض عليه وإعدامه بسر من رأى خاتمًا بذلك الفصل الأخير من ملحمته الشعرية، ومشيدًا بعمل المعتصم الجليل لإعلاء شأن الإسلام ونوره، وإكمال ما انتقصه عدوان الكفر منه. كما نجد أن شعره

يتحدث عن يوم النصر في أرشق فيقول:

يا يوم أرشق كنت رشق منية للخرّميّة صائب الآجال
قد شمروا عن سوقهم في ساعة أمرت إزار الحرب بالإسبال
وكذاك ما تنجرّ أذيال الوغى إلاّ غداة تشمّر الأذيال
لما رآهم بابك دون المنى هجر الغواية بعد طول وصال
تخذ الفرار أخا وأيقن أنّه صرّي عزم من أبي سمّال
وبهضبتي أبرشتويم ودروذ لقحت لقاح النصر بعد حيال
يوم أضاء به الزمان وفتّحت فيه الأسنّة زهرة الآمال
وعشيّة التّلّ الذي نعش الهدى أصل لها فخم من الآصال
نزلت ملائكة السماء عليهم لما تداعى المسلمون نزال

وقال ممتدحًا الخليفة المعتصم:

آلت أمور الشرك شرّ مآل وأقرّ بعد تخمّط وصيال
غضب الخليفة للخلافة غضبة رخصت لها المهجات وهي غوالي
لما انتضى جهل السيوف لبابك أغمدن عنه جهالة الجهّال[57]

وقال في قصيدة أخرى مادحًا المعتصم والأفشين:

شهدت أمير المؤمنين شهادة كثير ذوو تصديقها في المحافل
لقد لبس الأفشين قسطلة الوغى محشا بنصل السيف غير مواكل

لم يخلُ من متابعة قضية الأفشين ومحاكمته، وكذا قد قدّم وصفاً بارعاً دقيقاً لميتته وقد ساورته النيران والتهمت جسمه. راجع ديوان أبي تمام.

[57] كل هذه الأبيات منقولة من قصيدة واحدة تضم ثمانية وثمانين بيتًا. انظر: الحاوي، إيليا، شرح ديوان أبي تمام، مرجع سابق، ص475-477-479-480.

وسارت به بين القنابل والقنا عزائم كانت القنا والقنابل

وجرّد من آرائه حين أضرمنت به الحرب حدّا مثل حدّ المناصل

رأى بابك منه التي لا شوى لها فترجى سوى نزع الشّوى والمفاصل.[58]

و قد امتدح البحتري أيضًا أبا سعيد محمد بن يوسف الثّغري الطائي في قصيدتين الأولى تحوي على ستةٍ وخمسين بيتًا والثانية خمسة وخمسين بيتًا قائلاً[59]

ما للجزيرة والشام تبدّلا بك يابن يوسف ظلمة بضياء

نضب الفرات وكان بحرا زا خرا واسودّ وجه الرّقة البيضاء

ولقد ترى بأبي سعيد مرّة ملقى الرّحال وموسم الشعراء

إذ قيضها مثل الرّبيع، وليلها مثل النهار يخال رأد ضحاء

رحل الأمير محمد فترحّلت عنها غضارة هذه النّعماء

إن الأمير محمّدا لمهذب الأفعال في السّرّاء والضّرّاء

ملك إذا غشي السّيوف بوجهه غشي الحمام بأنفس الأعداء.

إنّ من يطالع جميع هذه القصائد يدرك إدراكًا تامًا أن الشعر في ذلك العصر لم يكن بمنأى عن المشاركة والتعبير عن الأحداث السياسية، والاجتماعية التي كان يعيشها المجتمع، ولا عن تتبع أخبارها ومجرياتها، وإن كان الذي وصل إلينا منه قليلا ومتمثلاً في شخص أبو نواس مع وجود شعراء كثر في ذلك العصر.

[58] الحاوي، إيليا، شرح ديوان أبي تمام، مرجع سابق، ص455.

[59] ديوان البحتري، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، (القاهرة: دار المعارف، ط3، د.ت)، مج1، ص8. وانظر: قصيدته الثانية ص13.

الخاتمـــة: توصلت الباحثة من خلال هذه الدراسة إلى النتائج الآتية:

- الشعوبية سابقة للزندقة وهي وثيقة الصلة بها بل إن الشعوبية كانت من الدوافع الأساسية للزندقة، ومن الواضح أن كليهما استمدا أفكارهما من نطاق حضاري خارج نطاق العروبة والإسلام، وأن آراءهما في الأساس آراء وافدة وأصولها وولاءها خارج المجتمع العربي الإسلامي.

- قام الفقهاء بدورهم المنوط في حفظ دين الأمة وعقيدتها، كل بحسب قناعاته الفكرية فمنهم من عكف على دراسة الحديث النبوي متنا وسندا والتصدي للزنادقة الوضاعين وغيرهم من الكذابين، وذلك بتدوينه حفاظًا عليه من العبث والدس، ومنهم من تصدى لهم بالجدل والمناظرة كالإمام جعفر الصادق.

- برزت شخصية الجاحظ في ميدان المناظرة والتأليف على رأس الأدباء في ذلك العصر، فتميزت جلّ كتاباته بالرد على من خالفوا الإسلام، ولاسيما المانوية، والزنادقة، والملحدون ممن كانوا يعملون على هدم الإسلام وتشكيك معتنقيه.

- لم يغب دور الشعراء في استنكار الحركات الهدامة وما صحبها من فوضى أخلاقية وإباحية في ذلك العصر فتميز شعرهم تارة بطابع التحريض للخليفة على الزنادقة، وترة أخرى بشعر الحماسة الإسلامية والذي قيل في حركة بابك الخرمي، وقد أطنب الشاعر أبو تمام في شعره بسرد وقائع جلّ المعارك التي وقعت بين القوات الإسلامية وبين الخرّمية.

قائمة المصادر والمراجع:

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت: دار صادر، ط3، 1414ه.
أبو زهرة، محمد، الإمام الصادق حياته وعصره آراؤه وفقهه، القاهرة: دار الفكر العربي، د.ط، د.ت.
أبو زهرة، محمد، مالك حياته وعصره آراؤه وفقهه، القاهرة: دار الفكر العربي، ط2، د.ت.
أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم، كتاب الخراج، القاهرة: المطبعة السلفية ومكتبتها، ط2، 1352هـ.
الأصفهاني، أبو القاسم الحسن بن محمد المعروف بالراغب، معجم مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: نديم مرعشلي، بيروت: دار الفكر، د.ط، د.ت.
آل الشيخ، هيا بنت إسماعيل بن عبد العزيز، مكونات مفهوم الأمن الفكري وأصوله، بحث مقدم للمؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري " المفاهيم والتحديات"، في الفترة من 22-25 جمادى

الأول 1430ه، كرسي الأمير نايف بن عبد العزيز لدراسات الأمن الفكري بجامعة الملك سعود.

بهجت، مجاهد مصطفى ، التّيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأول، بغداد: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، ط1، 1982م.

التركي، عبد الله بن عبد المحسن، الأمن الفكري وعناية المملكة العربية السعودية به، أصل الكتاب محاضرة ألقيت في مدينة تدريب الأمن العام بمكة المكرمة بتاريخ 5-3-1422هـ.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط5، 1985م.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، المختار في الرد على النصارى، تحقيق: محمد عبد الله الشرقاوي، القاهرة: دار الصحوة، ط1، 1984م.

جميل جبر، الجاحظ في حياته وأدبه وفكره، بيروت: دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، د.ط، دت.

الجندي، عبد الحليم ، الإمام جعفر الصادق، القاهرة، د.ط، 1977م.

الجوهريّ، أبو نصر إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، بيروت: دار العلم للملايين، ط4، 1987م.

الحاوي، إيليا، شرح ديوان أبي تمام، بيروت: دار الكتاب اللّبناني، ط1، 1981م.

ديوان البحتري، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، القاهرة: دار المعارف، ط3، د.ت.

رسائل الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، بيروت: دار الجيل، ط1، 1991م.

الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، مصر: المطبعة الخيرية،ط1، 1306هـ.

الشاطبي، أبو إسحاق، الموافقات في أصول الشريعة، بيروت: دار الكتب العلمية، ط3، 2003م.

شوقي، رياض أحمد، حماسيات أبي تمام في الحروب البابكية، القاهرة، دار الثقافة، د.ط، 1978م.

صلاواتي، ياسين، الموسوعة العربية الميسرة والموسعة، بيروت: مؤسسة التاريخ العربي، ط1، 2001م.

عبد الحسين علي أحمد، موقف الخلفاء العباسيين من أئمة أهل السنة الأربعة ومذاهبهم وأثره في الحياة السياسية في الدولة العباسية، الدوحة قطر: دار قطري بن الفجاءة، د.ط، 1985.

الغريري، عامر عوّاد هادي، الإمام جعفر الصادق وآراؤه الفقهية، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1.

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال، إستنبول - تركيا: مكتبة الحقيقة، د.ط، 1988م.

كرد علي، الجاحظ، سوسة –الجمهورية التونسية:دار المعارف، د.ط، د.ت.

المالكي، عبد الحفيظ، الأمن الفكري من المصطلحات الحديثة أبرز انحرافاته ارتكاب الجريمة، النسخة الإلكترونية من صحيفة الرياض اليومية الصادرة من مؤسسة اليمامة الصحفية، العدد 14291، 10 أغسطس 2007م.

المالكي، عبد الحفيظ، نحو مجتمع آمن فكريًا، بحث مقدم للمؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري "المفاهيم والتحديات"، في الفترة من 22-25 جمادى الأول 1430هـ، كرسي الأمير نايف بن عبد العزيز لدراسات الأمن الفكري بجامعة الملك سعود.

المجدوب، أحمد علي، الأمن الفكري والعقائدي مفاهيمه وخصائصه وكيفية تحقيقه، أبحاث الندوة العلمية الرابعة بعنوان: نحو استراتيجية عربية للتدريب في الميادين الأمنية ، لرياض: دار النشر بالمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، ط1، 1408ه/ 1988م.

محمد بركات حمدي أبو علي، سخرية الجاحظ من بخلائه، الأردن: مكتبة الأقصى، ط2، 1982م.

محمد عبد اللطيف محمد السبكي وآخرون، تاريخ التشريع الإسلامي، القاهرة: مطبعة الشرق الإسلامية، ط2، 1939.

محمود، عبد القادر، الإمام جعفر الصادق رائد السنة والشيعة، الجمهورية العربية المتحدة: د.ط، د.ت.

ابن حنبل، أحمد بن محمد، الرّد على الجهميّة والزنادقة فيما شكوا فيه من متشابه القرآن وتأوّلوه على غير تأويله، المملكة العربية السعودية: نشر وتوزيع إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، د.ط، د.ت.

مرتضى، محمد حسين ، موقف الإسلام من الحركات الهدامة، البيضاء-ليبيا: جامعة عمر المختار.

المعري، أبو العلاء، رسالة الغفران، تحقيق: بنت الشاطئ، مصر: دار المعارف ، د.ط، 1959.

المقدسي، مطهر بن طاهر، البدء والتاريخ ، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1997م.

المقريزي، تقي الدين، النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم، تحقيق: حسين مؤنس، القاهرة: دار المعارف، د.ط، د.ت.

الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف ومراجعة: مانع بن حمّاد الجهمي، الرياض: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر، ط3، 1418هـ.

وجدي، محمد فريد، دائرة معارف القرن العشرين، بيروت: دار الفكر، د.ت ، د.ط.